افتتاحية العدد

بقلم رئيس التحرير: سعيد بنتاجر[1]

By Editor: Said Bentajar

تدور أغلب دراسات هذا العدد على موضوعي «التأويل» و«العقيدة»؛ ففي محور الدراسات غلبت الأبحاث التصحيحية والتقويمية لمناهج التأويل والفهم، خاصة تلك التي تتولى النصوص الدينية بوجه عام، فنجد الباحث بلال شيبوب، في بحثه الموسومة بـ«الاستمداد الأصولي من اللغة العربية: مناهجه وضوابطه»، قد توجه إلى دراسة الآليات الأصولية المستفادة من اللغة العربية قاصدًا تقدير اجتهاد الأصوليين في منهج استمدادهم من اللغة العربية والدفاع عن اختصاصهم بوجوه من تأطير هذا الاستمداد بضوابط أدى إلى ارتفاع صفة تقليد اللغويين التي وُسِموا بها، وذلك بأن أبرز أنهم كانوا نزعوا إلى اجتراح أنظار لغوية لم يسبقوا إليها ومحاولتهم حل إشكالات شكوك طبعت بعض المباني اللغوية وتولهم توضيح غوامض دلالية كما أظهروا تميزا في السبق إلى آراء لغوية مع الاجتهاد في الجمع والترجيح في المسائل اللغوية التي يجدون في ظاهرها تعارضا. وقد فصل الباحث هذا الاختصاص المنهجي للممارسة الأصولية إزاء اللغة العربية بما يثبت جانبا من إبداع الأصوليين في اللغة وإزاء اللغة.

ووقفت الباحثة فاطمة السقاف، في دراستها الموسومة بـ«التأويل وضبط سيرورته عبر استحضار مفهوم السياق في التراث العربي»، عند أهمية التأويل في التراث العربي بإبراز انتباه النظار في الثقافة العربية الإسلامية إلى أهمية السيرورة الذهنية والاستعمال الاجتماعي في تحديد الدلالة اللغوية، مع تأكيدها على أهمية السياق في تحديد التأويل الدلالي من خلال الوقوف عند نماذج تراثية من علوم الأصول والبلاغة والتفسير، واضعة نصب عينها الاجتهاد التأويلي والسيميائي المعاصر. وقد انتهت الباحثة إلى أن المقاربة العربية التراثية للتراث ترقى إلى أن تكون نظرية تأويلية أصيلة تختص بتعليق التأويل باعتبار السياق وانضباطه له.

وفي نموذج تطبيقي لآلية التأويل العقدي، تولى الباحث منير تمودن دراسة التأويل الغنوصي للمعتقد المسيحي في مقاله الموسوم بـ«الخلاص عند الغنوص: دراسة في تأثير الغنوصية المسيحية على تأويل المُعتقد». فقد نظر الباحث إلى الأثر العرفاني الروحاني الشرقي في تأويل الاعتقاد المسيحي ما أدى به إلى اعتبار الغنوص وإن اشترك مع المسيحية في طلب الخلاص والمعرفة الإلهية، إلا أنه مباين في

(1) للاقتباس: بنتاجر، سعيد، افتتاحية العدد، مجلة نماء، مركز نماء، مصر، مج8، ع1، 12-14.

المنهج للطلب المسيحي للمعرفة والخلاص. ورغم هذا التباين، فإن الغنوصية المسيحية لم تقف عنده، بل كان لها تأثير تأويلي في ارتقت بتأويلها إلى مراكز مهمة في الاعتقاد المسيحي يرتكز على نظرة ثنوية ذات أصل مانوي ينسب الخير إلى إله والشر إلى إله أدنى منه، فيكون لهذا الأخير خلق العالم المادي (وهو إله العهد القديم) وبينما يكون الإله الأعلى (إله الغنوص) إله الخير، منشئة لتراتبية للموجودات تقل خيريتها بقدر ابتعادها عن العالم العلوي. وقد استحضر الباحث ثلاثة نماذج من كتابات اللاهوتيين المسيحيين الأوائل لدراسة الأثر الغنوصي في المعتقد المسيحي.

وغير بعيد عن تأطير مناهج الفهم والتأويل في العقيدة، ارتأى الباحث محمد الشهبي الوقوف عند الأصول المنهجية المؤطرة للنظر الكلامي، كما تجلى بوجه خاص في علم الكلام الأشعري المتأخر. وقد اتخذ، في دراسته التي عنونها بـ«النظر الإبستيمي إلى الكلام الأشعري المتأخر من خلال مقدمات تآليفه»، مقدمات الكتب الكلامية الأشعرية المتأخرة مادة للبحث والتحليل نافيا عنها صفة المادة المضمونية الكلامية بقدر ما هي، في نظره، مداخل إبستيمولوجية؛ لأنها تنظر في نفس العلم والنظر والاستدلال. وقد تميزت هذه النصوص، بالنظر لاعتدادها بأنظار فلسفية ولغوية ومنطقية، بأصالة منهجية لأنها لم تكن منشغلة بتفاصيل المسائل الكلامية. وقد دعا الباحث إلى مزيد عناية بهذه المقدمات لما فيه من نظر عقلي يجسد فلسفة معرفية مخصوصة سماها بـ«فلسفة علم الكلام».

واستحضر الباحث زكرياء صديقي في دراسته الموسومة «تأويلية الفنون الأدبية التراثية عند هانس جورج غادامير» اجتهادَ واحدٍ من مبدعي المقاربة التأويلية المعاصرة المستندة في أول أمرها إلى تأويل النص الديني، وهو الفيلسوف وعالم الدين الألماني هانس جورج غادامير. وقد انطلق الباحث من تجربة غادامير التأويلية والأدوات التي اقترحها في تأويل النصوص الأدبية. وشدّد الباحث على أهمية الصلاحية التي قدمها غادامير للقارئ في قراءة النص، الأدبي والتراثي خاصة، في صياغة الآفاق التأويلية للنص دون الارتهان لتجربة المؤلف الأصل. وقد نبه على مفهوم اندماج الآفاق التصور التأويلي الغادميري باعتباره جامعا للآفاق التأويلية المتعددة التي تصوغها الأسئلة القرائية المتعددة التي يطرحها القارئ المؤول.

وفي مستوى آخر من التعامل مع النص العقدي لكن هذه المرة في سياق التعليم وليس القراءة، تناول بحث «الدرس العقدي المدرسي في سياق أسئلة تجديد النقل الديداكتيكي؛ معالم وضوابط» للباحث عمر بن سكا مسألة نقل المعارف العقدية في المدارس من المعلمين إلى المتعلمين ومناهج هذا الانتقال في سياق بحث حول وجوه تدريس العقيدة، مع التركيز على أهمية المعلم في هذه العملية، داعيًا إلى اعتبار مبدأ الواقعية والحيوية في نقل هذه المعارف وتقريبها إلى المتلقي مع استحضار خصوصيته واعتبار السياق والتوسل بالمفاهيم بدل القضايا الجزئية.

وعودة إلى التأويل في النص العقدي، جمع الدكتور الشريف حاتم بن عارف العوني تفاصيل مناظرة عقدية، لم تُجر حضوريًا في زمان ومكان واحد، بين علمين أشعريين هما الإمام ابن الصلاح والعز ابن عبد السلام في مسألة الحرف والصوت. وقد وضع الدكتور فتاوى كل واحد من العالمين، التي نشر بعضها ولم تنشر أخرى، في سياق تفاعلي بالترتيب الذي حصل فعلا عن بعد بين العالمين. وقد أبرز الشيخ قيمة هذا التفاعل النظرية والاجتماعية في مسألة اشتد في الاختلاف وتعدد فيها التأويل حتى داخل المذهب الكلامي الواحد، وهو هنا المذهب الأشعري. وقد سبق أن نُشرَت دراستان على الأقل في أعداد سابقة حول نفس المسألة لكن داخل مذهب أهل الحديث من الحنابلة.

وتضمن العدد، إضافة إلى الدراسات، ترجمة لدراسة وليد صالح الموسومة بـ«التأريخ الفكري من خلال الحواشي: حواشي الكشاف»، أعدها الباحث أحمد شكري مجاهد. وقد كان وضعت هذه الدراسة ثلاثة حواش لكتاب تفسير الكشاف للزمخشري موضوعًا لها كمنطلقٍ لرصد التطور التاريخي لتأثير هذا التفسير في المدارس الإسلامية. كما تضمن العدد مراجعات مطولة لكتب في ميادين الفلسفة والفكر الإسلامي، فقد تولى الباحثان نصر الدين بن سراي وعبد الحليم ماهورباشة مراجعة كتاب «روح القيم وحرية المفاهيم» للباحث عبد الرزاق بلعقروز. وقد استعرضا فيه أبرز أفكار الكتاب ومفاصله، واقفين عند البعد التكاملي بين القيم والعلوم الاجتماعية؛ وتولى الباحث عبد الجليل رسو مراجعة كتاب الباحث التيجاني عبد القادر حامد «أصول الفكر السياسي في القرآن المكي»، وقد وقف المراجع عند أفكار الكتاب، خاصة محاولته التصحيحية لتأويل دارج يعتبر المرحلة المكية من القرآن مقتصرة على التأسيس العقدي وليس فيها تأسيس سياسي، وناقش المراجع أطروحاته مناقشة نقدية وتكميلية مستحضرا أفكارا من أعلام الفكر الإسلامي القديم (الشاطبي) والمعاصر (طه عبد الرحمن وفريد الأنصاري ومحمد نصر عارف و محمد بن المختار الشنقيطي)؛ وتمثل المراجعة الأخيرة ضمن هذا العدد قراءةً نقدية لأطروحة مخصوصة تقلدها الباحث «الحسان شهيد» في كتابه الموسوم بـ«علوم الوحي ونظرية المعرفة: في الفلسفة والتاريخ والمنهج»، وقد تولى هذه القراءة النقدية الباحث عبد الرحمن زعتري، لم يقتصر فيها على نقد أطروحة الكتاب وإنما العودة إلى أصول هذه الأطروحة الأكبر التي انطلق من أعمال علي عبد الرازق في تمهيده لتاريخ الفلسفة الإسلامية. ونجدد في دورية نماء انفتاحنا وتشجيعنا للتفاعل النقدي المفيد بين الباحثين لتحقيق التراكم المعرفي النافع. ونختم هذا العدد بتقرير أعدته الباحثة فاطمة خليل عن الندوة الدولية حول: «الاتجاهات الفقهية المبكرة وسؤال النشأة» التي نظمتها أكاديمية نماء للعلوم الإسلامية والإنسانية، يوم الجمعة 15 دجنبر 2023، وشارك فيها أكثر من 16 باحثًا وخبيرًا في التاريخ الثقافي للإسلام المبكر من مشارب متعددة.